

تفسير ابن كثير

هذه مناظرة ذكرها ﷻ تعالى وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا فإن
ﷻ مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا
الإيمان ويحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا بذلك
ولهذا قالوا { لو شاء ﷻ ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء } كما في قوله تعالى {
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم } الآية وكذلك الآية التي في النحل مثل هذه سواء .
قال ﷻ تعالى : { كذلك كذب الذين من قبلهم } أي بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء وهي
حجة داحضة باطلة لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم ﷻ بأسه ودمر عليهم وأدال عليهم رسله
الكرام وأذاق المشركين من أليم الانتقام { قل هل عندكم من علم } أي بأن ﷻ راض عنكم
فيما أنتم فيه { فتخرجوه لنا } أي فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه { إن تتبعون إلا الظن }
أي الوهم والخيال والمراد بالظن هاهنا الاعتقاد الفاسد { وإن أنتم إلا تخرصون } تكذبون
على ﷻ فيما ادعيتموه قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس { لو شاء ﷻ ما أشركنا } وقال
{ كذلك كذب الذين من قبلهم } ثم قال { ولو شاء ﷻ ما أشركوا } فإنهم قالوا : عبادتنا
الالهة تقربنا إلى ﷻ زلفى فأخبرهم ﷻ أنها لا تقربهم فقوله { ولو شاء ﷻ ما أشركوا }
يقول تعالى لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين وقوله تعالى : { قل فإِنَّ الْحِجَةَ الْبَالِغَةَ فَلَوْ
شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } يقول تعالى لنبيه صلى ﷻ عليه وسلّم { قل } لهم يا محمد { فإِنَّ
الْحِجَةَ الْبَالِغَةَ } أي له الحكمة التامة والحجة البالغة في هداية من هدى وإضلال من ضل {
فلو شاء لهداكم أجمعين } فكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين
ويبغض الكافرين كما قال تعالى : { ولو شاء ﷻ لجمعهم على الهدى } وقال تعالى : { ولو
شاء ربك لآمن من في الأرض } وقوله { ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين
* إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين } قال
الضحاك : لا حجة لأحد عصى ﷻ ولكن ﷻ الحجة البالغة على عباده وقوله تعالى : { قل هلم
شهداءكم } أي أحضروا شهداءكم { الذين يشهدون أن ﷻ حرم هذا } أي هذا الذي حرمتموه
وكذبتهم وافتريتم على ﷻ فيه { فإن شهدوا فلا تشهد معهم } أي لأنهم إنما يشهدون والحالة
هذه كذبا وزورا { ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم
يعدلون } أي يشركون به ويجعلون له عديلا